مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية. | المجلد 6 / العـــدد: 3 (2022)، ص 121ـــ137

الحضور التاريخي لمدينة زراي "قراءة في كيفية النشأة والتطور عبر التاريخ ".

Historical presence of the city of Zaraï " A reading on how it originated and developed throughout history ".

نجوى راشي*
جامعة محمد الأمين دباغين سطيف2 (الجزائر)
nadjouarachi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 22/../02../2022 تاريخ القبول: .26./../04.../2022

الملخص:

تعتبر مدينة زراي من أهم المدن الجزائرية القديمة التي برز حضورها التاريخي منذ فترة ما قبل التاريخ خاصة بعد اكتشاف النقوش الصخرية والصور الجدارية المتواجدة في كاف الزمام الأثري ، فضلا عن دورها العسكري والاقتصادي في الفترة الرومانية باعتبار أنها صنفت من أهم المناطق الجمركية القديمة التي تربط بين البضائع القادمة من التل وما قبل الصحراء ، بالإضافة إلى كونها مركزا للقوات الفلافية الرومانية بعد الزيارة التي قام بها الإمبراطور هادريانوس لتفادي حدوث تمردات وثورات في شمال إفريقيا مرة أخرى ، ومن هنا سوف نحاول تسليط الضوء في ورقتنا البحثية على أهم مواطن الاستقرار البشري القديم الذي شهدته هذه المنطقة في فترة ما قبل التاريخ ؟ وكيف انتقل هذا المجتمع القديم من تجمع بشري بسيط إلى مدينة لها مركزها الخاص تبلور أكثر في ظل الاحتلال الروماني الذي سخر لها كل الامكانيات المتاحة له حتى لا تخرج عن سيطرته وحكمه؟.

كلمات مفتاحية: مدينة زراي.، كاف الزمام.، النقوش الصخرية.، محطة جمركية.، الفرقة الفلافية.

abstract :

The city of zaraï is one of the most important ancient Algerian cities, which has emerged its historical presence since the prehistoric period, especially after the discovery of rock carvings and frescoes located in the archaeological cave, as well as its military and economic role in the Roman period as it was classified as one of the most important ancient customs, in addition to being the center of the Roman Flavien forces after the visit by emperor Hadrianus to avoid rebellions and revolts in North Africa again , Hence , we will try region in the prehistoric period, and how this ancient community moved from a simple human gathering to a city with its own status further crystallized under the Roman occupation, which harnessed all the possibilities available to it so as not to get out of its control and rule .

Keywords:

Zeraï city, Kaf Al-Zmem, Petroglyphs, Customs station, The Flavian band .

*المؤلف المرسل

تتواجد ببلاد المغرب القديم العديد من المدن ذات الأهمية التاريخية والسياسية عبر مختلف الأزمنة التي مرت بها البشرية ، بدليل ما أكدته الأبحاث والدراسات التاريخية التي قام بها جموع الباحثين والأثريين الذين استطاعوا أن يزيلوا الغموض على كثير من المواضيع التاريخية التي تخص هذه المدن المغاربية، ولعّل أبرزها مدينة زراي التي خلفت موروثا أثريا عكس أهميتها السياسية والاقتصادية خاصة في الفترة الرومانية التي جعلتها إحدى أهم و أبرز المدن الجمركية التي تمر بها البضائع والسلع التي تحتاج إليها الإمبراطورية الرومانية من المقاطعات الإفريقية (الداخلية)، حيث أثبتت نقيشة زراي قيمة الأسعار والمواد التي خصّت بها كل منتوج محلي (إفريقي) يصادر إلى روما ، ونظرا لأهمية هذه المنطقة سوف نحاول تسليط الضوء على أهم مخلفاتها الأثرية من خلال الإشارة في البداية إلى مواطن الاستقرار البشري القديم في هذه المنطقة وبالتحديد ضمن ما يعرف بموقع كاف زمام، فضلا عن دراسة أهم نقيشة لاتينية عثر عليها في هذه المنطقة، والتي تعرف باسم نقيشة زراية أو بروتوريوم زراية من حيث المحتوى والانعكاسات المترتبة عنها ؟.

2.نبذة تاريخية عن مدينة زراي: في بداية حديثنا عن هذا الموقع الأثري لابد من الإشارة إلى :

1.2 أصل التسمية:

حملت المدينة العديد من التسميات المتشابهة عبر تاريخها ، فمصطلح زراي " Zarai" هو اسم بربري مشتق من الجذر " ZRY" الذي يعني "المرور" أو "الغربلة" ، أي معنى العبور يطلق عليه"أزري" ،"Azray" في اللهجة الشليحية أو القبائلية ، أما في اللهجة الترقية ، فحافظ الاسم على شكله القديم"أزراي" "Azaray"، هذه الصيغة الاسمية تكشف في حد ذاتها قيمة الموقع قديما على أساس انه كان منطقة لعبور السلع(Trousse, 2002, p. 1) ، أما في اللهجة الشاوية التي يتواصل بها السكان المحليون لهذه المنطقة فكلمة "زراي" مشتقة من الفعل "يزرا" بمعنى " رأى" أو "رآني" ، أما مصدر هذه التسمية ومدلولها يبقى مجهول المصدر وتبقى فقط مجرد فرضيات ، لا نستطيع الحكم عليها بالنفي أو الإثبات (كريم، 2021، صفحة 14) .

زيادة على ذلك وجدت عدّة كتابات لاتينية بالمكان تؤكد استمرارية اسمها القديم -Zarai -مثل:نقيشة رقم4511 [? ordo] [orum] an [t]Zarai، نقيشة رقم 2532=18042التي تعود إلى فترة حكم الإمبراطور هادريان" Hadrien", (Gsell, 1963, p. 287) ، كما ذكرت تسمية " سراي " في مسلك أنطونيوس "Antonia " ، بينما ذكر بطليموس ومن خلال النقد الذي وجد في المنطقة المحاذية لمقاطعة موريطانيا السطايفية تحت اسم زراث" Zarath" ، كما ورد أيضا اسم المدينة على لوح بوتينجير " Le table de Peutinger" تحت اسم زراس" Zaras"(Gsell, A.A.A, 1911) ، أما في الشهادات الكنسية الرسمية الخاصة بأسقف المنطقة فقد دونت حضور اثنان من أساقفة مدينة " زراي" ، حيث نسب كل منهما بالاسم الاثني لمركزه وهما : زرايتنسيس " Cresconius Zaraitensis" أو زرادتنسيس" Adeodatus Zaradtensis" (كريم، 2021، صفحة 14).

3. الموقع الإداري للمنطقة:

تقع زراي في المنطقة التابعة لإقليم الهضاب العليا ، بين سلسلتي الأطلس التلّي والأطلس الصحراوي، يحد هذه المنطقة من الشمال جبال الساطور وسهول الهضاب العليا ومن الجنوب سلسلة جبال الرحبات وجبال الحضنة ، تبعد عن ولاية سطيف بحوالي 75كلم ، وعن بلدية

بيضاء برج بحوالي 14كم ، يحدها من الشرق مشتة أولاد وذلاف ، السعادنة وأولاد خامس ، ومن الغرب أولاد مبارك ودائرة عين أزال ، شمالا أولا سي لكحل وبلدية بيضاء برج ، جنوبا مشتة الشوافع وبلدية الرحبات (زعبار، 2019، صفحة 1).

لكن حسب الكتابات التاريخية القديمة التي أولت اهتمامها بدراسة هذه المنطقة فقد حاولت تحديد موقعها الجغرافي القديم ، وفي مقدمتهم الباحث بيير سلامة " P.Salama " ، وبول تروسي" Pol Trousset" ...الخ، حيث صنفت هذه المدينة حسب خريطة الطرق التي أنجزها بيير سلامة على أنها تقع في نقطة عبور بين موريطانيا القيصرية ومقاطعة نوميديا في الطريق الذي يصل نقاوس بسطيف ، وبانتمائها لمقاطعة نوميديا وامتيازها بالموقع الجغرافي الهام، والمتميز بوقوعه بين السهول العليا القسنطينية و السطايفية من الجهة الشمالية و بوابة الصحراء من الجنوب ، وفي الجهة الجنوبية الغربية لزراية نجد سهول الحضنة ، كما يضيف أيضا بقوله أنها تقع في تجويف متعرج بارز عبر طريق حدودي بين فرعها النوميدي و فرعها الموريطاني ، فهي تقع في قلب نظام الطرق التي تمتد فروعها نحو الطبنة "Tobna" و بسكرة عبر نقاوس(شمال شرق الحضنة) ، و زانا نحو لامبيز "Lambese" و سيرتا، فكان التمركز المثالي للمركز الجمركي "Portorium"(Salama, 1951, pp. 25-26) .

في هذا الصدد أيضا يذكر ستيفان غزال في كتابه الأطلس الأثري الجزائري أهمية هذه الممرات أو الطرق التي تربط هذه المدينة بمناطق أخرى في قوله:" نجد من الناحية الشرقية طريق متفرعة تؤدي من جهة إلى زانة" Zana" ومن الجهة الأخرى مروانة " Lamasba"، أما من الناحية الغربية وبالتحديد الشمال الغربي وباتجاه سطيف نجد طريق آخر يؤدي إلى سور الغزلان " Auzia" والحضنة " Hodna" والتي وجدت بها بعض الأطلال التي تثبت بوجود طريق بين زراي وعين آزال "Ampère" ، بينما باتجاه الجنوب وبالضبط إلى نقاوس ، ومن خلال واد الرحابة " Oued Rhaba" وعن مسافة 1.5كم جنوب هنشير زراية " Henchir Zarai" نحو طريق جبل فورحال " Djebel Forhel" طريق آخر وجدت به علامة حدودية ، وهذه النقطة تبرز الحدود الفاصلة بين زراية وزانا"Zana " من جهة ومروانة من جهة أخرى (Gsell, A.A.A, 1911) (Labrousse, 1938, p. 224).

في حين يذكر الباحث بول تروسي "Pol Trousset " بقوله عن هذه المدينة بأنها عبارة عن معبر ما قبل الصحراء لذلك كانت المكان المناسب لإنشاء مركزا جمركيا يخص البضائع الإفريقية (Trousse, 2002, p. 3)، بينما بيير موريس" P. Morisse" يشير إلى موقعها الجغرافي بقوله : " زراية تقع على بعد حوالي 120كم عن سطح البحر المتوسط ، وفي المضيق الذي يتحكم في أحد الطرق المرورية المتكررة بين أعالي السهول القسنطينية و السهوب الشبه القاحلة لمنطقة الحضنة(Morizot, 1997, p. 158) .

4. الحضور التاريخي لمنطقة زراي " Zarai" قبل التواجد الروماني:

في بداية حديثنا عن تاريخ هذه المدينة ، نستكشف أن حضورها التاريخي امتد إلى فترة ما قبل التاريخ بدليل الاكتشافات التي عثر عليها المنقبون في موقع كاف الزمام الذي تم الإبلاغ عنه سنة 1998م من قبل معلم ببلدية بيضاء برج المجاورة للموقع ، وبعد هذا الإبلاغ سارعت اللجان الأثرية بمتحف منطقة سطيف خاصة علماء الآثار المختصين بعصور ما قبل التاريخ إلى زيارة الموقع لتحديد الهوية التاريخية له ، وإجراء استقصاء ومسح أثري حول هذا الموقع ، وأعد من قبلهم تقرير مفصل حول الرسومات الصخرية للهضاب الصخرية التي عثر عليها.

أصل تسمية –كاف الزمام– هو اسم الموقع أو المنطقة التي تتواجد بها النقوش الصخرية ، إذ يقع على سفح جبل فورحال على بعد 4كلم شمال غرب زراية (المعروفة بمنطقة أولاد خامس)، بلدية بيضاء برج ، وعلى بعد حوالي 45كلم جنوب مدينة سطيف ، ويتخذ هذا الموقع شكل هضاب من الحجر الجيري (Anticlinaux) و (Synclinaux)، ويبلغ عددها أربعة صخور كبيرة ومكدسة واحدة على رأس الأخرى ومتوجهة نحو الشمال ، و المحطة الأخيرة في شكل مأوى تحت الصخور ، أبعادها هي 3,55م × 2,15م (Bellahreche, 2014, pp. 52-53)، والجدار عليه مادة بنية فاتحة أما الجدران الداخلية من هذا الموقع منقوشة برسوم مختلفة .

الشكل 1: يمثل موقع كاف الزمام بمنطقة زراي الأثرية.

1.4. النقوش الجدارية المتواجدة بالموقع الأثري كاف الزمام :

نقشت على هذا الموقع العديد من الرسومات ، والتي نقدمها على النحو التالي :

أ/ **النقش الأول** : يعتقد أنه يمثل **صورة النعامة** بأبعاد صغيرة 1,75م× 0,76م متوجهة نحو الشرق وتواجه النقش الثاني ، أما طريقة نحتها فهي متواضعة أو متوسطة ، وتغيب تفاصيل الوجه والأعضاء النقش (النعامة) .

ب/ **النقش الثاني** : يعتقد أنه يمثل **صورة الأيل**، متجه نحو الغرب ، وقد تم تنفيذه بصورة فنية متوسطة نوعا ما حيث تم إبراز القرون بشكل جيد للغاية مما سمح بتوضيح صورة الحيوان بشكل جلي ، ولكن مؤخرا تعرضت هذه النقوش إلى وضعية سيئة بشكل لافت للنظر بسبب التآكل الذي ميز الموقع بحكم إما الرياح أو جريان الأمطار الحمضية مما أدى إلى تقشيرها تدريجيا فضلا عن انتشار الطحالب ، بالإضافة إلى التدهور الناجم عن الإنسان أيضا ملحوظ وعدم العناية.

-الشكل2: يمثل صورة الأيل .

-الشكل3: يمثل صورة النعامة .

من إعداد الباحثة يوم : 17/ 04/ 2018م

أما **المحطة الثانية من الموقع**: عبارة عن صخرة كبيرة شبه مدورة أبعادها 5,71 × 1,62 م ، ذات اللون البني الداكن ونقشت عليها ثلاثة صور جدارية وهي كالآتي :

أ/ **النقش الأول** يعتقد أنه يمثل **حيوان رباعي الأضلاع** ، مجهول الهوية أو غير واضح ، أبعاده صغيرة جدا 1,12 م× 0,86م ، ورسمه سيء للغاية و تحديد الحيوان غير مرئية .

ب/ **النقش الثاني** :يعتقد أنه يمثل **صورة النمر** ، ويمكن التعرف عليها من الأخاديد في الذيل ، وله أبعاد صغيرة 2,25 م × 1,35م ، حيث يتضح صورة وجه الحيوان منخفض وتظهر تفاصيل العينين والأنف بدقة ، الجذع والأطراف الأمامية متمثلة في حالة حركة وفي حالة هجوم.

-الشكل 4: يمثل صورة النمر

. -الشكل 5: يمثل صورة الحيوان الرباعي الأضلاع مجهول الهوية.

من إعداد الباحثة يوم : 17/04/ 2018م

ج/ النقش الثالث : يعتقد أنه يمثل **صورة ظبية** باتجاه الشمال ، ولها أبعاد صغيرة 1,10م × 2,45م ، إنجازه متوسط ، وجه الحيوان مرئي قليلا قرونه ظاهرة والتي تم بفضلها التعرف على الحيوان وتمثل 3/4من الشكل المنقوش ، أطرافه السفلية (الخلفية) مستلقية نحو الأسفل .

د/ النقش الرابع : يمثل **صورة قط** وهو على الأرجح أنثى النمر من خلال الإنتفاخات على الجزء البطني للحيوان ، أبعاده 2,26 م × 1,11م ، ويتجه الحيوان نحو الشمال ، والذيل رسم بدقة في شكل نصف دائري ولها أخاديد ، أسلوب إنجازه شبه طبيعي ، والجزء الأمامي منه مفقود أي (صورة الوجه والجذع) بسبب أنها قد دمرت من قبل التغيرات المناخية (Bellahreche, 2014, pp. 54-55).

على العموم فإن النقوش الصخرية التي صورت على هذا الموقع –كاف الزمام- سيئة جدا بحكم الشكل -شبه الدائري- مما عرض النقوش إلى أشكال مختلفة من التعديلات التي هي ملحوظة جدا نحو الجزء العلوي والسفلي من الجدار ، وكذلك التقشرات نحو الجزء الأيمن من الجدار ،بالإضافة إلى الحزاز أو الطحالب التي انتشرت بالموقع بكثرة وتفكك الحبيبات من الجدار مرئية بسبب هطول الأمطار في فصل الشتاء ،كما هو موضح في الصورة .

من خلال ما تم تصويره من الرسوم الحيوانية و الأساليب الفنية على الهضاب الصخرية المتواجدة بموقع كاف الزمام ، توصل علماء ما قبل التاريخ أنها تعتبر من الحيوانات الهوليسينية بالمغرب القديم بعدم وجود أي رسم لحيوان أليف،كما أظهرت تقارير حفريات ما قبل

التاريخ بأن بعض هذه الأنواع لم يعثر عليها إطلاقا ،وهو شأن النعامة التي لم يعثر إلا على قشور بيضها فقط، على نقيض الحيوانات الأخرى مثل: الفيل ، الضبي، النمر..الخ التي نقشت في الكثير من المحطات الأثرية (الحضارة الوهرانية ، الطاسيلي و الاهقار)، وبالتالي يعتقد أن إنسان ما قبل التاريخ الذي ميّز هذا الموقع أراد أن يبلغنا أصناف الحيوانات التي تكهنها أو ببساطة الحيوانات التي لم يستطيع صيدها (نويبات، 2014/2013، صفحة 26).

مما تجدر الإشارة إليه أن هذه الرسوم الصخرية التي عثر عليها في هذا الموقع أختلف في تحديد فترتها الزمنية فحسب محفوظ قداش أرجعها إلى العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليتي الأعلى) (قداش، 1993، صفحة 11)، لكن الباحث الأثري فوفري(Vaufrey) حاول تحديد الهوية التاريخية لهذا الموقع الأثري ،و اعتبر أن النقوش الصخرية الموجودة في هذا الموقع تعود لفترة العصر الحجري الحديث من خلال الحياة البرية التي جسدتها المناظر الصخرية وكذلك صور الحيوانات (القطط ، الإيل ، النمر ، النعامة ، الظباء) وجميعها ذات أبعاد صغيرة(Vauvrey, 1935, pp. 637-638) ، بينما أشار الباحث هنري لوت(H.Lhote) إلى هذه المنحوتات الصخرية والأساليب الفنية التي حملت أبعاد صغيرة الحجم وذات طراز طبيعي والمعروفة بمدرسة تازينا ، والحيوانات ممثلة ذات أشكال منمقة جدا مع أطراف مستديرة عموما ، وأن هذه الحيوانات كانت كثيرة في تلك الفترة ووفيرة الاصطياد من قبل الناس في العصور الحجرية ، أما العنصر البشري غائب في هذه الرسومات (Bellahreche, 2014, p. 57).

2.4 الفترة البونية :

لم تترك المصادر الكتابية المعلومات الكافية على أحداث الفترة البونية في بلاد المغرب القديم إلا بعض الشواهد الأثرية القليلة ، حيث اكتشفت في منطقة زراية أثرا واحدا يعود للفترة البونية ، ويتمثل هذا الشاهد الأثري في النقد من معدن البرونز يحمل على وجه الرأس الإلهة فينوس –عشتار متجهة نحو اليمين وعلى رأسها إكليل مزين بالآس (Myrte) وقرط ،أما على الظهر فنجد قرن مع سنبلتين ، والذي يرجعه الباحث مولر (Muller) إلى الفترة البونية(Muller, 1862, p. 69) .

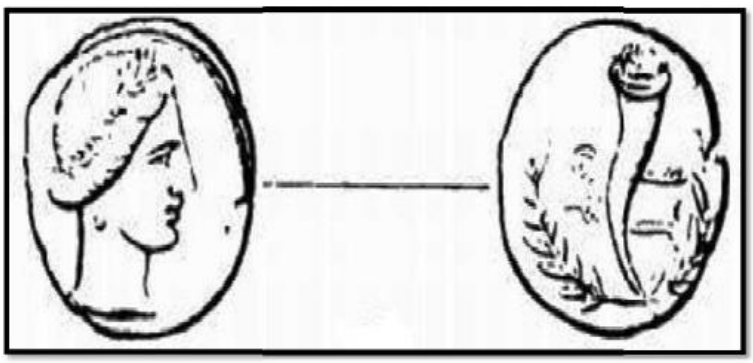

الشكل 6: يمثل القطعة النقدية التي وجدت بمنطقة زراي في الفترة البونية. (Muller, 1862, p. 69).

3.4 الفترة الرومانية:

أدرك الرومان أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تحظى به الكتلة الاوراسية الواقعة في الشرق الجزائري ، ودورها في صد الهجومات العسكرية التي تشنها الفرق الرومانية ، لهذا السبب أحاطوها بأحزمة أمنية أصطلح عليها تاريخيا باسم خطوط الليمس بهدف تثبيت دعائمهم الإحتلالية في المغرب القديم ،واستغلال ثرواته الاقتصادية وتسهيل حركة الاتصال بين المراكز والحصون العسكرية القائمة على طول هذا

الخط ، وذلك وفق طريق استراتيجي يسهل عملية الاتصال بين الوحدات العسكرية بقصد التحرك السريع كلما لاح خطر الأهالي النوميديين لمداهمة الحدود من جهة وتسيير التحكم في المعابر والمسالك بين الجنوب والشمال من جهة أخرى ، واتخذ خط الليمس في الفترة الرومانية مرحلتين:

*)**المرحلة الأولى**: اشرف عليه كل من الإمبراطور تراجانوس وخلفه هادريانوس ، امتد نحو الجنوب الموريطاني من الجنوب الشرقي إلى الجنوب الغربي للمقاطعة القيصرية.

*)**المرحلة الثانية**: اشرف عليه الإمبراطور سبتيموس سفيروس ،وامتد هذا الخط الدفاعي حتى حدود الجنوب الموريطاني و النوميدي معا، ويشمل مرتفعات التل الداخلية بداية من سيلاص(الخربة الزرقة) شرقا إلى نمروس سيروروم(مغنية) غربا (شنيتي، 1999، صفحة 118،122).

على هذا الأساس فإن منطقة زراية كانت تخضع ضمن الخط الدفاعي الأول ، حيث زار الإمبراطور هادريانوس "Hadrien "مدينة زراية و لمباز في 16جويلية 128م بعد الزيارة التفقدية التي قام بها إلى مجموعة من المناطق الرومانية في أوروبا، حيث مرّ في زيارته إلى أوروبا على نهري الراين والدانوب وبريطانيا ، وقد صادف في هذه الزيارة قيام تمردات وثورات في إفريقيا وموريطانيا مما جعله يقوم بجولة مماثلة إلى إفريقيا لتفقد مستعمراتها والاطلاع بنفسه على الميدان(Baradez, 1949, pp. 154,156) ، والتحري في نفس الوقت على الفرقة الفلافية التي حلت بزراية ثم أوزيا قادمة من اسبانيا في مهمة عسكرية بمقاطعة القيصرية ، زيادة على ذلك تواجد الفرقة السادسة الكمبانية للفرسان، حيث يذكر الباحث روني " L.Rénie" أن الإمبراطور هادريانوس " Hadrien" قد وجه خطابا رسميا للفرقة الاوغسطية الثالثة أثناء زيارته للمعسكر بلمباز ، وهذا ما دلت عليه النقوش اللاتينية المرفوعة كالأنصاب وشواهد القبور مثل: النقيشة 2532- 18042و4526و4527 (Gsell, A.A.A, 1911).

تعتبر هاتين الفرقتين إحدى أهم الفرق المشكلة للفيلق الأغسطسي الثالث الذي يضم الجيش النظامي المتكون أساسا من الجنود الرومان أو الايطاليين ذوي المواطنة الرومانية بالإضافة إلى الكتائب والفرق المساعدة، وقد تواجد حسب روني كانيا(R.Cagnat) عن ثلاث كتائب وعشر فرق فضلا عن كتيبتي نوميروس(Numerus) التي تشمل الكتيبة المورية القيصرية وكتيبة تدمر الغير نظامية (Cagnat, 1892, pp. 97-98)،وخير مثال على وجود هذا الفيلق هو القبرين الخاصين بإحدى الجنود ، إذ وجد قبر لجندي من الفرقة السادسة الكمبانية السادسة ، وقبر آخر لجندي من الفرقة الفلافية للفرسان .(Gsell, A.A.A, 1911)

الجدير بالذكر أن الشاهد الأثري الذي أثبت مدى تمركز هذه الفرق العسكرية بمنطقة زراية هي تلك النقيشة المنحوتة التي تحمل في طياتها ثمن الرسوم الجمركية المفروضة على السلع التي تدخل إلى الإمبراطورية الرومانية من الجهة الجنوبية ، وتعرف باسم تسعيرة زراي – Le Tarife de Zaraï- ، هذه النقيشة التي وجدت في مقاطعة نوميديا بالقرب من حدود المقاطعة الموريطانية ، وبالضبط في مدينة عين أزال-Ampère- (Morizot, 1997, p. 158).

من هنا نستنتج أن لهذه المدينة أهمية عسكرية كبيرة في الفترة الرومانية باعتبارها صنفت كمركز عبور للفرق العسكرية الرومانية بين نوميديا و موريطانيا من جهة ، ومن جهة أخرى في كثير من الأحيان تضطر هذه الفرق إلى التمركز والبقاء بهدف إخضاع المقاومات الشعبية القائمة ضد الاحتلال الروماني ، لتتحول فيما بعد إلى أهم محطة جمركية(اقتصادية) تخص البضائع الداخلية الكمالية.

5. الدور الاقتصادي لمدينة زراي" Zaraï" خلال الفترة الرومانية:

جرت العادة في التنظيم الروماني وضع رسوم جمركية على مستوى الموانئ ومراكز الحدود القارية (بين نوميديا وموريطانيا) أين تكثر التبادلات التجارية، وأحسن دليل على ذلك يتمثل في تشريع زراي الذي يحدد قيمة رسم العبور لكل المنتجات والسلع التي تعبر خط الليمس في الاتجاهين شمال شرق، جنوب غرب(Darmon, 1964, p. 17) ،على هذا الأساس أطلق الرومان كلمة البورتوريوم (portorium) على أنواع من الرسوم الجمركية التي تدفع على بعض البضائع المارة عند نقط معينة من الإمبراطورية الرومانية ، وبالتالي فهي ضريبة نقل تفرض على البضائع التي تنقل من منطقة إلى أخرى عبر الولايات الرومانية ، وتدفع في أماكن محددة على حدود الإمبراطورية الرومانية ، وعلى حدود الولايات ، وعلى أبواب المدن ، وأخيرا على الطرق أو عند المرور على الجسور ، وأنواع هذه الرسوم ثلاثة :

1-رسم الجمرك .

2-رسم الدخول .

3-رسم المكوس (تسعديت، 1990، صفحة 170).

تعددت تعريفات المؤرخين حول تحديد مصطلح البورتوريوم (portorium)، وفي مقدمتهم المؤرخ دولايت (De Laët)الذي يقول :" أنها رسم العبور والجزء العشرين على رسم البضائع المستوردة والمصدرة (VegesimaLibertatis) وضريبة الخمس على العبد المباع " Quinta et VisecimaVenalium " والجزء العشرين من التركة " HereditatiumVegesima " (Delaiet, 1949, pp. 267,271) ،بينما المؤرخ جيرون (Guerin)يعتبره بأنه رسم العبور وحق الرعي وضريبة العشور وضريبة الأراضي العسكرية ، في حين يرى هيوود" Haywood " أنها حق الجمرك والأراضي العمومية وضريبة الأراضي العسكرية وضريبة الرأس ، ومن وجهة نظر ثيبول " Thiboult" هي رسم العبور وحق الرعي وضريبة الملح والجزء العشرين من التركة ، أما بالنسبة لروني كانيا (R. Cagnat) فهي بكل بساطة ضريبة على المرور، ضريبة النقل تنشأ على البضائع التي تعبر عبر الإقليم الروماني و التي وجب أن يفرض دفعها في لحظة أن السلع تمر على بعض الأماكن المحددة بحدود الإمبراطورية الرومانية أو المقاطعات أو مجموعة مقاطعات التي تشكلها.

لكن المؤرخين مومسان (Mommsen) وفان بارشام (Van Berchem) اعتبرا البورتوريوم بأنه المعيار الأساسي لجباية الضرائب (الرسوم) و هو عبور السلف بين المناطق الإقليمية الخاضعة لأنظمة قانونية مختلفة مثلا بين ايطاليا و الأقاليم أو المقاطعات ، لكن تفرض أيضا عند دخول بعض المدن، على الطرق أو عبور أحد الجسور (Trousse, 2002, pp. 7-8)، وأمام هذه الروايات التاريخية يمكننا القول كباحثين أن الترجمة اللغوية لمصطلح البورتوريوم تعني حق النقل ، حيث استعمل الرومان مصطلح البورتوريوم " Portorium" للتعبير عن حقوق جمركية وغيرها من الرسوم ، وكما يبين مصدر المصطلح بورتوس " Portus" الذي يدل على الميناء ، أي أن هذه الضريبة يفترض أن يدفعها المعنيون بالضريبة عند مختلف الموانئ عن خروج البضائع أو دخولها ، ومع تطور التجارة الرومانية عمّم مصطلح البورتوريوم على الرسوم البرية التي تدفع عن البضائع التي تعبر الحدود الداخلية بين المقاطعات دخولا وخروجا ، ومنه قسم الرومان ضريبة العبور إلى قسمين : ضريبة عند الموانئ خاصة بالبضائع المصدرة نحو الدول الأخرى ، وقد سميت بضريبة الرسوم البحرية " maritimum Portorium " وضريبة الرسوم الداخلية البرية "Portorium terrestre " (زعبار، 2019، صفحة 2) .

عرفت الرسوم الجمركية في إفريقيا **باسم الرسوم الإفريقية الأربعة** (QuattuorPublicaAfricae) والتي أصبحت تحت إدارة مركزية بين سنتي 20و30م أي في عهد الإمبراطور تيبريوس ، وكان البورتوريوم يمول خزينة الدولة ، وجمعت هذه الضرائب قبل عهد الإمبراطور ماركس أورليوس من قبل شخص عرف باسم وكيل الرسوم الإفريقية الأربعة ، ولكن ابتداء من عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس و مع التعديل الذي حصل فيما بعد أوكلت المهمة إلى (Procurator IV PublicorimAfricae) (مسعودي، 1988/1987، صفحة 69) ، ووزعت على حوالي 15 مكتب مركزي (stationes) على مستوى أقاليم مقاطعات إفريقيا(نوميديا و موريطانيا القيصرية) وكانت إحدى هذه الرسوم في :

1-الموانئ البحرية :[Leptis Magna, Carthago, Utica, Rusicade, Chullu] .

2- المعبر البرّي على الحدود :[Vaga, Bisica, ThuburboMajus, Mactaris, Cuicul, Lambaesis, Zaraï, Sitifis, Praesidium] (Trousse, 2002, p. 6).

بطبيعة الحال فقد سمح موقع زراي الاستراتيجي قرب حدود الإمبراطورية الرومانية و المركز السابق للعساكر المكلفون بجباية الضرائب الإفريقية ، هل كان هذا يفسر الوضعية الخاصة التي تمتع بها مدينة زراي اتجاه بقية المراسي الأخرى ؟ وما هي العلاقة بين رحيل الفرقة العسكرية وإنشاء الرسوم ؟.

حاول الباحث روني (Renier) الإشارة إلى ذلك بقوله :"لم يكن هناك "portorium" بزراية قبل رحيل العساكر لأن هؤلاء هم الذين كانوا يتمتعون بالامتيازات الجمركية و هذا ما يبدو باطلا ، كما ذكره Y. Le Bohec في قطعة منقوشة عثر عليها ب لمباز ، في حين الباحث مومسان (Mommsen)فيذكر أن الرقابة الجمركية على طول الحدود كانت من تنفيذ العساكر أنفسهم ، و لكن في عام 202 م بعد رحيلهم تم إنشاء هيكل مدني لتعويض هؤلاء الجنود ، من طرف مبعوث الحاكم أو السفير (Q.AniciusFaustus) بين سنة 197و201م على إقليم شاسع واقع بين الحضنة وطرابلس الداخلية ،فأحس الحاكم الجديد لنوميديا بالحاجة لإعادة تنظيم مكتبه المدني وبالأخص مصلحة استرجاع ضرائب العبور أو الجمارك خلف الحدود العسكرية الجديدة .

لكن أمام هذه الفرضيات وتعدد الآراء بين الباحثين توصل دولايت (De Laët)إلى حل وسطي طفيف من خلال الإشارة إلى كتابة لمباز (Lámbese) التي نشرت من طرف الباحث كانيا (Cagnat) ، و التي تتشابه بشكل كبير مع محتوى نقيشة زراي ، وتوضح لنا عن وجود الفرق العسكرية بالإضافة إلى ضرورة التمييز بين رفع الضرائب و العمليات الخاصة التي قام بها العساكر بسبب وجودهم بمعسكر (Lámbese) ،أيضا جباية حقوق الرسوم بقت موكلة حسب نفس الكاتب إلى المزارعين العاملين المدنيين [vilici] حتى أثناء القبض[الجباية] المباشر يتم تحت حكم تراجان (Trajan)، بينما العساكر لم يتدخلوا إلا في شكل المراقبة للسوق و تزويد القوات بالمؤونة أو المراقبة الصحية عبر المصالح البيطرية.

من خلال المنتوجات المذكورة في نقيشة زراية يتضح موقع زراية التي كانت بمثابة الوتد على الحدود ما بين المقاطعات بين نوميديا و موريطانيا ،واعتبرت مركز ضريبي يقع على الحدود خاصة مع منطقة ما قبل الصحراء وفي نفس الوقت محطة تجارية داخلية ، حيث كانت الأسعار فيها منخفضة عن حدود المقاطعات ، وفي هذه الحالة تمثل لائحة زراية طابع منحة فلا ترسم الضرائب إلا على المواد الموجهة إلى السوق المحلي ، في حين أن البضائع الأخرى تمر مجانا بمعنى بواسطة بعض الحقوق الخفيفة .

ويبقى البورتوريوم زراي عبارة عن عمل غير مكتمل قام به سفيروس (Sévères) ، الذي رسم على حدود التل حزام جديد حصين حيث يسمح بمشاهدة وجود طرق قوافل قديمة ، وكان الهدف من وراءها هو التحكم في هذه الطرق و الماء حسب إستراتيجية النظام الاحتلالي الروماني في العمق ، فضلا عن تعزيز الرقابة الرومانية في المناطق الداخلية الغنية بثروتها الاقتصادية ومراقبة التجارة بين التل والصحراء،أما فيما يخص حصانة السوق فربما يعني امتياز محلي منح للزراية و يمكن أن يؤكد الرغبة بتفضيل التجارة بحدود التل مع مربي الحيوانات في منطقة ما قبل الصحراء ، رغبة تترجم كما رأينا خفة ورمزية الضرائب التي تقبض (Trousse, 2002, pp. 7-8).

6-قراءة تاريخية في نقيشة زراي الأثرية :

6-1تاريخ اكتشاف النقيشة:

أكدت العديد من الأدلة الأثرية على وجود نوع من التجارة الداخلية والخارجية للكروم والخمور الإفريقية أثناء التواجد الروماني في منطقة زراي " Zarai" من خلال العثور على هذه النقيشة ، فالوثيقة اكتشفت سنة 1858م خلال بناء مطحنة قرب الزراية من قبل البعثة الفرنسية تحت قيادة ل ، رونيه(L. Renier) ، الذي قام بنشرها في المجلة الإفريقية سنة 1858م ، ثم عدلت من قبل دوسيه (Dessau) وروني .كانيه (R.Cagnat) في الملحق الخاص بنوميديا وذلك تحت رقم 18643 (Morizot, 1997, p. 158)، وعرفت باسم تسعيرة أو تعريفة زراي " Tarif de Zarai"، وتعنى هذه الوثيقة الكتابات و النقوشات على شكل قائمة للمنتوجات المرتبة تحت مختلف العناوين مع وضع علامة تعريفية لها أثناء عبورها على مكتب الرسوم الضريبية للجمارك أو البروتوريوم [Portus] (Morizot, 1997, pp. 4-5).

6-2 بداية الأبحاث والتنقيبات الأثرية حول النقيشة :

تخللت العديد من الأبحاث التاريخية حول مدينة زراي باعتبار أن هذه الأخيرة اعتبرت إحدى أهم المحطات الجمركية الإفريقية بعد مدينتي سكيكدة (روسيكدا) و العلمة ،حيث نالت هذه النقيشة اهتمام المؤرخين وكتب حولها العديد من المؤلفين مثل : المؤلفات التي جمعت من طرف (J-P. Darmon) كاتب الدراسة الأخيرة المتعمقة حول تسعيرة الزراية، و نحن مدينون له بالفضل لتمكنه من تفسير هذه الوثيقة من زاوية مختلفة، تلك المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي لمنطقة حدودية بشمال إفريقيا، بالإضافة إلى الدراسة الأولى التي قدمت من طرف (Renier Léon) في دراسته بعنوان " Moniteur" بتاريخ 6 ديسمبر 1858م، ثم كان هناك تحليل مفصل قدم من طرف(Héron de Villefosse) بعد حوالي 20 سنة من ذلك ، كما ازداد الاهتمام بدراسة هذه الوثيقة وإحاطتها باهتمام علم النقوش، مع قراءة جديدة من طرف مومسان (Mommsen) و روني. كانيه(R.Cagnat) (Morizot, 1997, p. 5).

من المحتمل أن اكتشاف لأي وثيقة يمكن أن يؤدي إلى نقاش مشابه و ذو نطاق عام أين تكون فيه المواجهة بين أنصار البدائية و الحداثة حول إمكانية سياسية ، اقتصادية شاملة للإمبراطورية الرومانية ، و غالبا ما تم ذكر تسعيرة زراي التي لم تكن قبل 1858 م موضوع لتحليل تركيبي و ينظر إليها وتقرأ عبر كل زواياها الممكنة ، و لكن هذا الشاهد الأثري الذي يحتوي على هذه الكتابة و النقوش وجب إعادة فحصه على ضوء البحوث الجديدة التي تم القيام بها منذ ذلك الحين حول هذه المناطق ما قبل الصحراء.

6-3 تعريف نقيشة زراية(le Tarif de Zarai):

يحدد تشريع زراي قيمة رسم العبور لكل المنتجات والسلع وعلى رأسها الكروم والخمر القادمة من مقاطعتي طرابلس وجنوب الأوراس نحو موريطانيا (أي من تونس وليبيا نحو الجزائر الحالية) (شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، 1998، صفحة 142) ، تم تدوينها سنة 202م بعد رحيل الفرقة العسكرية التي كانت مستقرة في هذه المنطقة في عهد السفيريين (Cagnat, 1892, p. 284).

- الشكل 7: يمثل نقيشة (تسعيرة) زراي (Morizot, 1997, p. 169) .

يرى بعض الباحثين أن جباية الرسوم الجمركية في زراي كانت من مهام الفرقة الفلافية الأولى (I Flaviaequitata) أو الفرقة الجينورومية السادسة (VI CommaGenorum)، وبعد رحيلها خولت المهمة للمدنيين ، في حين يرى البعض الآخر أن دور القادة وضباط هذه الفرقة لا يتجاوز مراقبة السوق والمنتوجات المستوردة لتموين الفرق حيث أن جباية الضرائب لم تكن يوما من اختصاص الجنود إذ ظلت طوال تاريخ الإمبراطورية الرومانية مدنية، أما بعد رحيل الفرقة فإن عملية المراقبة أصبحت ضرورية (Delaiet, 1949, pp. 267,271).

خلافا لذلك يرى البعض وفي مقدمتهم الباحث دارمون (Darmon) أن هذه المنطقة كانت منطقة عسكرية وتحصلت بموجب ذلك على امتياز عدم دفع الرسوم الجمركية ، وبعد رحيل الفرقة كان من الضروري وضع قانون جمركي في المنطقة (Darmon, 1964, p. 9) باعتبار أنها كانت تتصل بلمباز وتبسة وبسكرة وقابس ، بالإضافة إلى موقعها على طريق القوافل الرابط بين موريطانيا والقادمة من المزاق وإقليم طرابلس والجريد والمناطق الجنوبية للأوراس ، ولقد أثارت الرسوم الجمركية التي كانت تدفع في هذه المنطقة عدة تساؤلات ونظريات مختلفة ، ولعل أبرزها : لماذا وجدت هذه المحطة في هذه المنطقة بالتحديد ؟ وهل كانت رسوما تدفع لمرور البضائع من المدينة أو كانت رسوما خاصة بمرور البضائع عبر الأودية والجسور ؟.

للإجابة عن هذه الأسئلة يشير الباحث روجي (Rougé) أن تعريفة (تسعيرة) زراية كانت خاصة بضريبة التي كانت تفرض على البضائع الداخلية لهذه المدينة باعتبار أن مدينة زراي تقع بالقرب من المناطق الزراعية ، فمن المرجح أن الخمر المذكور في هذه الوثيقة كان يجلب من نوميديا وشمال موريطانيا ، ومن المحتمل أن القماش الأرجواني كان يجلب من جزيرة جربة أو القل ، وبالتالي سمح موقع زراي من عقد علاقات تجارية مع مختلف المناطق الرعوية و الزراعية والساحلية ، كما أوضحت هذه الوثيقة الحركة التجارية النشيطة والمزدهرة بين المناطق التابعة للإمبراطورية الرومانية والمناطق المستقلة عنها ، حيث أن شط الحضنة (منطقة رعوية) أثناء تدوين هذه النقيشة الجمركية كانت بعيدة عن سلطة الحكومة الرومانية ، وقريبة في نفس الوقت من المنطقة الجمركية زراي (مسعودي، 1988/1987، صفحة 73).

إضافة إلى ذلك كانت مدينة زراية في تلك الفترة تستقبل البضائع المختلفة مثل : الجلود ، القماش ، الحيوانات ...الخ التي كانت تجلب من طرف الرحل القادمين من الحضنة مقابل ذلك كان هؤلاء البدو والرحل يشترون البضائع الكمالية مثل : الأرجوان والخمر والجاروم (Darmon, 1964, p. 20)، وبالتالي تمتعت بموقع تجاري هام أين كانت تفرض فيها رسوم المرور عند الدخول إلى موريطانيا ، كما أدى موقعها القريب من خط الليمس ببعض المؤرخين إلى القول أن تلك الرسوم كانت تدفع عند دخول أو خروج السلع من المناطق التابعة لروما إلى المناطق المستقلة عنها أو غير الخاضعة لها ،ومن المرجح أن البضائع المذكورة في النقيشة كانت تمثل البضائع الأكثر تداولا بين الناس .(Delaiet, 1949, p. 247) .

5-4 محتوى النقيشة :

ورد النص اللاتيني للوثيقة كما يلي :

" IMP (eratoribus) CAES (aribus) L.SeptimoSevere III et M.Aurelio Antonino Aug (ustis) plls CO (n) S(ubus) Lex portus post discessumcoh (ortis) instituto"

من خلال النقش المذكور أعلاه الذي أفادنا بفكرة واضحة على أهم السلع المتبادلة بين إفريقيا والإمبراطورية الرومانية في أوائل القرن الثالث ميلادي ، واعتبرت الشاهد الفريد على التاريخ التجاري بين المقاطعات الإفريقية الرومانية (نوميديا و موريطانيا) خلال القرن الثالث ميلادي ، وهو النقش الذي صنف السلع الخاضعة للرسوم إلى أربعة أصناف ، حيث يخضع كل صنف منها إلى رسم تشريعي خاص :

* **ضريبة الرأس (Lexoapitularis)** : التي كانت تدفع على العبيد والحيوانات مثل : الخيول ، الأبقار ، الماعز ، الحمير ...الخ.

***الرسم على القماش (Lexvectisperegrinae)** : التي كانت تدفع على النسيج ، الملابس المستوردة ، الملابس الإفريقية ، الأقمصة ...الخ.

* **الرسم على الجلود (Lexcoriaria)**: كانت تدفع على الصمغ ، الإسفنج ، جلود مدبوغة ، جلود لينة ، جلود الماعز والأغنام ....الخ.

***رسم العبور(Lex portus)**: تطبق على التمور ، التين ، الخمر ، الجاروم ، الزفت...الخ.

أما عن قيمة الرسوم التي وجدت في هذه الوثيقة فتختلف النسب فيها ، والتي تتراوح ما بين 21,5%إلى 0,3%، حيث تمثل حوالي 21,5%على الخمور والجاروم والتمر والتين ، و2% على القماش والجلود والإسفنج ، و 0,375% على الماشية و 0,3% على العبيد .

وقد صنفت هذه البضائع إلى منتوجات حيوانية وأخرى زراعية (رعوية) ، وكانت مصادرها من مختلف الولايات الإفريقية ، فالخيول كانت تجلب من نوميديا والمزاق وإقليم طرابلس ، والنسيج يجلب من جربة والجاروم من لبدة باعتبارها مركزا هاما لصناعته ،أما الخمر من قابس والمزاق أو من نوميديا و شمال موريطانيا ، والإسفنج يجلب من إقليم السرت الصغرى أو قابس والتمور من الواحات والفواكه الأخرى من منطقة المزاق ،أما الزفت فمصدره المناطق الجبلية الرطبة ، ويحدد رسم أمفورة واحدة من الخمر بمقدار واحد سيسترس ، ويفسر كانيا (Cagnat) زهادة أثمان الخمر والمنتجات الأخرى بالطابع الوقتي للرسم الجديد حتى يتعود الأهالي وتجار المنطقة على دفع ضريبة العبور تدريجيا (تسعديت، 1990، صفحة 176،171).

ومن المرجح أن بقية المنتوجات الواردة في هذا النقش قادمة من البروقنصلية و المزاق فضلا على بعض المنتوجات التي جلبت من بعيد مثل: حجر الشب ، وبعضها الآخر من مناطق قريبة من زراي ، لكن لاحظ بعض المؤرخين أن معظم المنتوجات المذكورة في الوثيقة غريبة عن زراية ، ولهذا من المحتمل أن تكون هذه المحطة خاصة بالمكوس التي كانت تفرض على البضائع المتنقلة عبر الطرق والجسور ، وبالتالي فإن القائمة المنقوشة على الوثيقة مثلت فقط البضائع الأكثر تداولا بين الناس (Delaiet, 1949, p. 247) ، كما تنتمي هذه المنتجات الواردة في هذه التسعيرة إلى نوع خاص من الاقتصاد يدعى بالاقتصاد المزدهر (Darmon, 1964, p. 17) الذي اقتصر على المناطق الداخلية للإمبراطورية الرومانية ، و التي استثمرت أراضيها في زراعات قديمة مثل : زراعة الكروم التي كانت تضمن لها التموين بالخمور.

5-5 أهمية النقيشة :

تظهر أهمية النص الاقتصادي فيما يلي :

1-هذا النص واضح في ظاهره لكنه يطرح بعض المشاكل في ما يخص الأسماء الكبرى في الكتابة و التاريخ الإفريقي لأن اكتشافه قديم ، لكن التحليلات المختلفة التي تم اقتراحها هي بعيدة كل البعد عن تقديمها إجابات نهائية لهذه المشاكل الاقتصادية .

2-الرسومات الضريبية بمدينة زراي مست قبل كل شيء البضائع التي اجتازت منطقة الليمس (limes)في اتجاه أو بآخر، فهو يسد محور مرور موجه شمال شرق ،جنوب غرب.

3-بعض أعداد المنتجات دخلت إلى الإمبراطورية عبر ممر أو ممرات مراقبة من طرف الزراية، و قدمت من طرف مربي الحيوانات البدو القادمين من الحضنة و عبر وسطائهم ، كما .يمكن أنهم قدموا من أماكم بعيدة [من الهضاب العليا الموريتانية]، تتضمن هذه المنتجات ما يلي:العبيد، الحيوانات، الجلود أو مشتقاتها و بعض الأنسجة الصوفية...الخ.

4-تشهد تسعيرة زراي على تيار تبادل تجاري نشيط بين نواحي شمال إفريقيا المدمجة بالإمبراطورية، و النواحي الأخرى التي بقيت مهمشة عن الإمبراطورية الرومانية و التي كانت في ذلك العصر تحت الرقابة العسكرية من طرف الإمبراطورية. 5-ما لوحظ في هذه الوثيقة أنه كان هناك تبادل طفيف بين الإمبراطورية و المناطق البعيدة بدون إقصاء إمكانية وجود تجارة ما بين المقاطعات ، لذا وجب إرجاع هذا الأمر للكاتب نفسه لكونه أول من بحث عن تعريف انطلاقا من وثيقة جمركية بوجود أقطاب و مسارات تبادل مؤكدة من طرف اللائحة، لكن المواجهة مع النص يمكن أن تفيدنا حول مصدر البضائع و المسارات المتبعة و خصوصا حول أعوان التجارة الحدودية المراقبة من طرف

روما، فمعظم الكتاب ركزوا على المكانة التي خصصت للمنتجات الحيوانية أو مشتقاتها ، مما يكفي للدلالة بأن أصل هذا التيار يدل على منطقة ذات توجه رعوي (Trousse, 2002, pp. 14,19).

فهذه اللائحة أو التعريفة لا تمثل إلا ربما المظهر الفصلي للتبادلات المركبة التي تقام بين التل و الحدود الصحراوية في جميع الأوقات، في الواقع الشبه البدو كانوا الوسطاء الإجباريين بين هذه الواحات و مناطق الحبوب في الشمال، إضافة إلى ذلك، بالنسبة لتربية حيواناتهم كانوا في حاجة ماسة لمراعي التل ، لكن كانوا هم أيضا أعوان التجارة البعيدة.

6-لائحة الزراية هي أيضا عبارة عن وثيقة من الدرجة الأولى لأنها تسمح بفهم و تحكم بعالم البدو في الوظيفة المزدوجة كمربي حيوانات و ناقل للبضائع في القوافل ، أيضا كلمة مراقبة لا تعني منع، فهذا ما يبينه النص نفسه للائحة الزراية و أكثر من ذلك عبر عبارة الضرائب المرتبطة بمختلف المواد الخاضعة للرهن أو المنح،حيث بواسطة هذه الاستثناءات ألقت الوثيقة بريق على السياسة الإدارية الرومانية اتجاه التنقل الفصلي لشبه البدو .(Trousse, 2002, pp. 14,19).

6. خاتمة :

في الأخير نستخلص أن مدينة زراي كان لها حضور تاريخي مميز منذ القدم ، والذي يعود إلى فترة ما قبل التاريخ من خلال الرسوم الجدارية المكتشفة في منطقة كاف الزمام الأثري ، حيث تعكس الأساليب الفنية التي توصل إليها الإنسان القديم في نقش هذه الحيوانات المختلفة قيمة الفترة التاريخية التي عاصرتها آنذاك ، والتي يعتقد أنها تعود إلى المرحلة الهوليستينية بسبب عدم وجود أي رسم لأي حيوان أليف ، فضلا عن الفترة البونية التي كانت فيها المعلومات جد شحيحة ، مما صعّب الأمر على المؤرخين في معرفة الدور الحضاري لهذه المدينة ، غير أن بمجرد أن تعرض المغرب القديم للاحتلال الروماني سنة 46ق.م، وفي إطار سياسة الرومنة واستغلال المناطق الداخلية المتميزة بثرواتها الاقتصادية ، كانت مدينة زراي إحدى أهم المناطق الاقتصادية المغاربية التي فرضت عليها روما كل الإجراءات السياسية والعسكرية حتى لا تخرج عن نطاق سيطرتها بهدف استغلال موقعها الاستراتيجي وامتيازاتها الاقتصادية ، حيث

أثبتت لنا النقيشة الأثرية التي عثر عليها في سنة 1958م قيمة المدينة في حدّ ذاتها ، خاصة بعد الحيوية التجارية التي كانت تشهدها آنذاك ، و مدى الأهمية الاقتصادية للأسواق الداخلية في مدينة زراي ، كمؤسسة اقتصادية وعسكرية في شمال إفريقيا ، كما مثلت عامل امتياز من أجل جباية الضرائب المفروضة على المنتوجات والبضائع المارة بين مناطق شبه البدو وسكان الحضر، فضلا عن الاستيلاء على القنوات المائية التي تعقد فيها بصفة دورية التنقلات والاتصالات الداخلية بين القبائل والرومان ، بالإضافة إلى تقديم صورة مفصلة عن قيمة الرسوم الجمركية في إفريقيا من جهة والسلع التي تطبق عليها الرسوم من جهة أخرى .

7. قائمة المراجع:

- **الكتب المنشورة:**

- محفوظ قداش. (1993). *الجزائر في العصور القديمة*. (صالح عباد، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

- محمد البشير شنيتي. (1998). *التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني:* الجزائر.
- محمد البشير شنيتي. (1999). *الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور* (الإصدار ج1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- Baradez, J. (1949). *FossatumeAfricae (recherche aérienne sur l'organisation des confins Sahariens à l'époque romaine).* Paris.
- Cagnat, R. (1892). *, L'armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs.* Paris: Introd.
- Salama, P. (1951). *les voies romaines de l'Afrique du nord.* Alger: Imprimerie Officielle du Gouvememrnt General de l'algérie.
- Trousse, p. (2002). le tarif de Zarai essai sur les circuit commerciaux dans la zone présaharienne . *créative Commons* .
- Vauvrey, R. (1935). *l'âge néolithique des gravures ruspestres du sud Oranais.* L'anthropologie 45.
- Labrousse, M. (1938). *Basilique et reliquaire d'Henchire-Tarlist-Algérie-Mélanges d'Archéologie et d'Histoire* (Vol. T55).
- Morizot, P. (1997). *Les échanges commerciaux entre la côte méditerranéenne et àl'intériuer du Maghreb au IIe siècle vus au travers du trafi Zarai.* Paris.
- Muller, L. (1862). *numismatique de 1' ancienne Afrique*. stanford libraire, imprimerie de Bianco luno copenthague. (Vol. T3).
- Delaiet, S. (1949). *le portorium étude sur l'organisation douanière chez les romains surtout à l'époques du Haute-Ampir .* BrugeeDetempel.
- Gsell, S. (1911). *A.A.A.* Paris: FEUILLE N:26,Boutaleb,n:69.
- Gsell, S. *A.A.A,N:26,Boutaleb.*
- Gsell, S. (1963). *corpus Inxriptionumlatinarum* (éd. TVII). Berline.

- **الأطروحات والرسائل الجامعية:**

- *رمضان تسعديت. (1990). الإصلاحات السفيرية في بلاد المغرب القديم (195-235م). رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم . جامعة الجزائر 2.*
- *لمين نوبيات. (2014/2013). مدينة زراي (زراية حاليا) ،دراسة تاريخية وأثرية. مذكرة ماستر في الآثار القديمة . جامعة قسنطينة2.*
- *آسيا مسعودي. (1988/1987). التبادل التجاري بين ايطاليا والمغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول-القرن الثالث). رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم . الجزائر2.*

- **المقالات والأبحاث المنشورة بالمجلات العلمية:**

- *توفيق زعبار. (16 أفريل, 2019). نقاط المراقبة والجباية في المغرب القديم –زراي انموذجا -. مدونة الأبحاث الفلسفية وعلم الآثار .*

- محمد الصغير كريم. (2021). دراسة مجتمع زراي من خلال النقيشات اللاتينية-قراءة في الألقاب والكنى-. المجلة التاريخية الجزائرية ، ع1.
- *Bellahreche, H. (2014). les Graves Pariétales du Site de Kaf E 'Zmam N : 11. revue Archéologie .*
- *Darmon, j. (1964). Note sur la tarif de Zarai. les cahiers de tunies in C.T .*